## ذكــرُ الله ـ تبارك وتعالى ـ

قال الله ـ تبارك تعالى ـ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٤٢) ﴾ [ الأحزاب: ٤١ – ٤٢ ] ، وذكر الله كثيراً أن يذكر فلا يُنسى أبداً ؛ وقال ـ سبحانه وتعالى ـ أيضاً : ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ (٢٠٥) ﴾ [ الأعراف: ٢٠٥ ] ، وتَضَرُّعاً وَخِيفَةً قيل بلسانك بحيث تسمع نفسك وقيل في سرك وقلبك .

**قال الذاكر :**

وأخـــرج من بين الجلوس لعلنـــي    أحـدث عنك النفس بالسر خـاليـا

**وقال الآخر :**

ولقـد جـعلتك في الفـؤاد محـدّثي    وأبحتُ جـــسمي من أراد جلوسي
فــالجـسمُ منى للجليس مـؤانس    وحـبـيب قلبي في الفـؤاد أنـيس

وقال عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : أن الله لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حداً معلوماً ، وعذر أهلها في حال العذر ، غير الذكر... فإن الله عز وجلّ لم يجعل له حداً ينتهي إليه ، ولم يعذر أحد في تركه إلا مغلوباً على تركه فقال : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ [ النساء: ١٠٣ ] ، بالليل والنهار... في البر والبحر... في السفر والحضر... في الغنى والفقر... في الصحة والسقم ... في السر والعلانية ... وعلى كل حال .

**وذكر الله نوعان :**

**[ ١ ] ذكره بأسمائه وصفاته والثناء عليه بهما وتنزيهه عما لا يليق به سبحانه وتعالى :** وهو أيضًا نوعان :

**( أ ) إنشاء الثناء عليه ـ تبارك وتعالى ـ بأسمائه وصفاته من الذاكر ،** مثل

سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، وسبحان الله وبحمده و . . .
وأفضل أنواع هذا الذكر أجمعه للثناء على الله ـ تبارك وتعالى ـ مثل : سبحان الله عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته . . .

**(ب) الخبر عن الله ـ تبارك وتعالى ـ بأحكام أسمائه وصفاته** ، مثل قولنا : الله ـ تبارك وتعالى ـ وسع سمعه الأصوات ، ولا تخفى عليه خافية ، وهو أرحم بعباده من أمهاتهم وآبائهم ، وهو على كل شيء قدير ، وهو أفرح بتوبة عبده من فقد العبد راحلته في فلاة وعثوره عليها . . . ونحو ذلك . . . وأفضل هذا النوع الثناء على الله تبارك وتعالى بما أثنى به عليه أعْرَف خلقه به رسولِ اللَّهِ ـ ﷺ ـ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل .

**وهذا النوع أيضاً ثلاثة أنواع :** [ ١ ] حمد . [ ٢ ] ثناء . [ ٣ ] تمجيد .

**فالحمد لله** :الإخبار عنه بصفات كماله سبحانه وتعالى مع محبته والرضا به ، فلا يكون المحب الساكت حامداً ولا المثني بلا محبة حامداً حتى تجتمع له المحبة والثناء ، فإن كرر المحامد شيئاً بعد شيء كانت ثناءاً ، فإن كان المدح بصفات الجلال والعظمة والكبرياء والملك كان **تمجيداً** ،وقد جمع الله ـ تبارك وتعالى ـ لعباده هذه الأنواع الثلاثة في أول سورة الفاتحة « **فإذَا قَالَ الْعَبْدُ : الْحَمْدُ للَّه رَبِّ الْعَالَمِينَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :حَمِدَنِي عَبْدِي ، وَإِذَا قَالَ : الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي ، وَإِذَا قَالَ: مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ، قَالَ : مَجَّدَنِي عَبْدِي** ـ وَقَالَ مَرَّةً ـ : **فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي** . . . » [١] .

**[ ٢ ] ذكر أمر الله ـ تبارك وتعالى ـ ونهيه وأحكامه ؛ وهو أيضاً نوعان :**

**( أ ) ذكر الله :** بالإخباراً أن الله أمر بكذا،ونهى عن كذا،وأحب كذا ورضي كذا.

**( ب ) ذكر الله :** عند أمره فيبادر إليه، وعند نهيه فيهرب منه:

ومن الذكر أيضاً ، ذكر آلاء الله وإنعامه وإحسانه على عبيده ، وهذا من أجلّ

---

( ١ ) مسلم .

أنواع الذكر .

وهذه الأنواع جميعاً من الذكر تكون باللسان وحده ، أو بالقلب وحده ، أو بالقلب واللسان جميعاً ، وهذا الأخير أفضل أنواع الذكر .

## فائدة جليلة :

**الذكر أفضل من الدعاء :** فالذكر ثناء على الله ـ عز وجلَّ ـ بجميل صفاته وآلائه وأسمائه ، أما الدعاء فهو سؤال العبد حاجته ، فأين هذا من هذا ؟ ، ولهذا جاء في الحديث القدسي : « **من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين** » (١) ، والذكر والثناء قبل الدعاء أيضاً يجعل الدعاء أقرب إلى الإجابة من الدعاء المجرد ، فإذا أضيف إلى ذلك تملق العبد إلى ربه وإخباره بحاله ومسكنته وافتقاره واعترافه كان أبلغ في الإجابة وأفضل مثل ﴿ **رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ** ﴾ [ القصص: ٢٤ ]، و﴿ **لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [ الأنبياء : ٨٧ ] و « **اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْماً كَبِيراً** ـ وفي رواية ـ كَثِيراً ـ **وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** » (٢) ، فجمعت هذه الدعوات بين الاعتراف بحال العبد ، والتوسل لله ـ تبارك وتعالى ـ بفضله وجوده وانفراده بالمغفرة ، ثم سؤال العبد حاجته بعد التوسل بالأمرين معاً .

**وقراءة القرآن أفضل من الذكر :** والذكر أفضل من الدعاء ، لكن قد يعرض للمفضول ما يجعله أولى من الفاضل ـ بل لا يجوز العدول عنه إلى الفاضل ـ مثل التسبيح في الركوع والسجود فإنه أفضل من قراءة القرآن فيهما، بل القراءة فيهما منهي عنها نهى تحريم أو كراهة، وكذلك التشهد . . . وإجابة المؤذن ،والذكر عقب السلام من الصلاة ـ ذكر التهليل والتسبيح والتحميد أفضل من قراءة القرءان في موطنها ـ ، وإن كان فضل القرآن على كل الكلام كفضل الله على سائر خلقه ،

---

(١) ضعيف الجامع .

(٢) متفق عليه .

لكن لكل مقام مقال متى عدل عنه إلى غيره اختلت الحكمة وفقدت المصلحة المطلوبة .

وكذلك الأذكار المقيدة بحال مخصوصة ، كأذكار الصباح والمساء مثلاً ، في وقتها أفضل من القراءة المطلقة ، وقراءة القرآن المطلقة أفضل من الأذكار المطلقة ـ أي ليس لها وقت محدد ـ وهكذا..... وهذا باب عظيم يحتاج إلى فقه نفس وفرقان بين فضيلة الشيء في نفسه وبين الفضيلة العارضة ، ولَمَّا كانت الصلاة مشتملة على القراءة والذكر والدعاء كانت أفضل من كل من القراءة والذكر والدعاء منفردين ، لجمعها ذلك كله ، زيادة على عبودية سائر أعضاء الإنسان .

**وهذا أصلٌ نافعٌ جداً لئلا** يشتغل العبد بالمفضول عن الفاضل فيربح إبليس ـ لعنه الله ـ الفضل الذي بينهما ، أو يشتغل بالفاضل في وقت المفضول فتفوت المصلحة كليَّة ، للظن أن الاشتغال بالفاضل أكثر ثواباً وأعظم أجراً ، وهذا يحتاج إلى معرفته بمراتب الأعمال وتفاوتها ومقاصدها،وفقه إعطاء كل عمل منها حقه [١] .

وإذا كان الله ـ تبارك وتعالى ـ قد أمر بذكره كثيراً فقد تفضل ـ سبحانه ـ على من فعل ذلك بأن جعله من السابقين، فأخبر على لسان رسوله ـ ﷺ ـ : « **سبق المُفَرِّدُونَ** ، قالوا : ومَا المُفَرِّدُونَ يا رسُول اللّه ؟ ، **قال : الذَّاكرُونَ اللّه كَثيراً والذَّاكراتُ** »[٢]، وقال أيضاً : «**ألا أُنبّئُكُم بخَيْرِ أَعْمالكُم وأزْكَاهَا عند مليكِكُم وأرفعها في درجاتكم ، وخَيْرٌ لَكُمْ منْ إنْفَاق الذَّهَب والفضَّة ، وخَيْرٌ لَكُمْ منْ أَنْ تَلْقوا عدُوَّكم فتضربوا أعْنَاقَهُم ويضربوا أعْنَاقكُم**؟، قالوا : بلَى ، **قال : ذكْر اللّه تعالى** »[٣] ، وقال معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ : ما شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله .

(١) الوابل الصيب ـ بتصرف .

(٢) مسلم .

(٣) صحيح جامع الترمذي .

وقد أرشدنا رسول الله ـ ﷺ ـ للذكر العظيم الأجر في الوقت القصير ، فعن سعد ابن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ قال : كنا عند رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : « **أَيعجزُ أَحدُكُمْ أَنْ يَكْسبَ كُلَّ يومٍ أَلْفَ حَسَنَة** ، فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائه كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَة ، **قَالَ : يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ أَوْ يُحطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ** » (١)، وأكثر من ذلك« **من دخل السوق فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، كتب الله له ألف ألف حسنة ،ومحا عنه ألف ألف سيئة ،ورفع له ألف ألف درجة ،وبنى له بيتاً في الجنة**»(٢)،وأخبر بـ« **كَلمتَان خَفيفتَان عَلى اللِّسان ،ثَقيلَتان في الميزَان،حَبيبَتان إلى الرَّحْمن ، سُبْحانَ اللَّه وَبحَمْده سُبحانَ اللَّه العظيم** » (٣)، و« ... **والحمدُ للَّه تَملأُ الميْزانَ ، وسُبْحَانَ اللَّه والحمْدُ للَّه تَمْلآن ـ أو تَمْلأُ ـ ما بيْنَ السَّموات والأَرْض** » (٤) .

و« **من قال :لا إله إلاَّ اللَّه وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ ولَهُ الحمْدُ وَهُوَ على كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ ، في يومٍ مائةَ مَرَّةٍ كانَتْ لَهُ عَدلَ عَشر رقَاب ، وكُتبَتْ لَهُ مائةُ حَسنة ، ومُحيت عنهُ مائة سيِّئَة ، وكانت له حرزاً منَ الشَّيطَان يومَهُ ذلك حتى يُمسي ، ولم يأت أَحدٌ بأَفضَل ممَّا جاءَ به إلاَّ رجُلٌ عملَ أَكثَر منه** » (٥) **وعتق الرقبة يحتاج إلى مائة ألف جنيه تقريباً ، فقائل هذا الذكر كأنه تصدق بمليون جنيه تقريباً ! .**

بل انظر ـ أخي ـ إلى فضل الله العظيم على لسان رسوله الكريم ـ ﷺ ـ القائل : « **ألا أدلك على ما هو أكثر من ذكرك الله الليل مع النهار ، تقول : الحمد لله عدد ما خلق ، الحمد لله ملء ما خلق ، الحمد لله عدد ما في السماوات وما في الأرض ، الحمد لله عدد ما أحصى كتابه ، والحمد لله على ما أحصى كتابه ،**

---

(١) مسلم . (٢) صحيح الجامع . (٣) متفق عليه .
(٤) مسلم . (٥) متفق عليه .

**والحمد لله عدد كل شيء ، والحمد لله ملء كل شيء ، وتسبح الله مثلهن ، تعلَمَهنّ وعلمهن عقبك من بعدك »** (١) .

« عَنْ أُمِّ المؤمنينَ جُوَيْرِيَةَ بنت الحارث - رضي الله عنها - أنَّ النبي - ﷺ - خرج من عندها بُكرةً حينَ صلَّى الصُّبحَ وهيَ في مسجدِها ، ثُمَّ رجع بعد أنْ أضحى وهي جالسةٌ فقال : **مازلْت على الحال التي فارقْتُك عليْها ؟** قالتْ : نعمْ : فقالَ النبي ﷺ : **« لقدْ قُلْتُ بعْدك أربعَ كلماتٍ ثلاثَ مراتٍ ، لوْ وُزنتْ بما قُلْت منذُ اليومِ لوزنتهُنَّ : سُبْحانَ اللَّه وبحمْده عدَدَ خلْقه ، ورِضاءَ نفْسه ، وزنةَ عرْشه ، ومداد كلماته »** (٢)، وفي رواية له **« سُبْحانَ اللَّه عدد خلْقه ، سُبْحانَ اللَّه رضاء نفْسه ، سُبْحانَ اللَّه زنةَ عرْشه ، سُبْحانَ اللَّه مداد كلماته »** ، وفي رواية الترمذي **« ألا أعلِّمُك كلماتٍ تقولينها ؟ سُبْحانَ اللَّه عددَ خلْقه ، سُبْحانَ اللَّه عددَ خلْقه ، سُبْحانَ اللَّه عدد خلْقه ، سُبْحانَ اللَّه رضا نفْسه ، سُبْحان اللَّه رضا نفْسه ، سُبْحانَ اللَّه رضا نفْسه ، سُبْحانَ اللَّه زنةَ عرْشه ، سُبْحانَ اللَّه زنةَ عرْشه ، سُبْحانَ اللَّه زنةَ عرْشه ، سُبْحانَ اللَّه مدادَ كلماته ، سُبْحانَ اللَّه مدادَ كلماته ، سُبْحانَ اللَّه مدادَ كلماته »** .

« دَخَل رسولُ اللَّه - ﷺ - على امْرأةٍ وبيْنَ يديْها نوىً أوْ حصىً تُسبِّحُ به فقال : **ألا أُخبرُك بما هُو أيسرُ عليْك منْ هذا - أوْ أفْضلُ - ، فقالَ : سُبْحانَ اللَّه عددَ ما خلَقَ في السَّماء ، وسُبْحانَ اللَّه عددَ ما خلَقَ في الأرْض ، سُبْحان اللَّه عددَ ما بيْنَ ذلك ، وسبْحانَ اللَّه عدد ما هُوَ خالقٌ ، واللَّه أكْبرُ مثْلَ ذلكَ ، والحَمْد للَّه مثْل ذلك ، ولا إله إلاَّ اللَّه مثْل ذلكَ ، ولا حوْل ولا قُوَّةَ إلاَّ باللَّه مثْلَ ذلك »** (٣) .

**أخي الكريم :**

لقد قال رسول الله - ﷺ - لأحد أصحابه : **« ألا أدلُّك على كنْزٍ منْ كُنُوزِ**

---

(١) صحيح الجامع . (٢) مسلم . (٣) الترمذي ، وحسنه .

الجنَّة؟، فقلت بلى يا رسول الله ، قال: **لا حول ولا قُوَّةَ إلاَّ بالله** »[١]، وفى رواية « **ألا أدلك على كلمة من تحت العرش من كنز الجنة ؟ تقول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فيقول الله عز وجلَّ: أسلم عبدي واستسلم** »[٢].

**قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ** :ومعنى الكنز هنا أنه ثواب مدَّخر في الجنة ، وهو ثواب نفيس كما أن الكنز أنفس أموالكم .

**وقال ابن حجر ـ رحمه الله** : « **كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ** » من حيث إنه يدخر لصاحبها من الثواب ما يقع له في الجنة موقع الكنز في الدنيا ، لأن من شأن الكانز أن يُعد كنزه لخلاصه مما ينوبه والتمتع به فيما يلائمه ـ وهي كلمة استسلام وتفويض وأن العبد لا يملك من أمره شيئاً ـ وليس له حيلة في دفع شر ولا قوة في جلب خير إلا بإرادة الله ـ تبارك وتعالى ـ .

والمداومة على ذكر الله ـ عز وجلَّ ـ تجعل الملائكة تُسَلم على الذاكر « فعَنْ حَنْظَلَةَ الأُسَيِّدِيِّ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّه ـ ﷺ ـ فَوَعَظَنَا فَذَكَّرَ النَّارَ ـ قَالَ ـ ثُمَّ جِئْتُ إِلَى الْبَيْتِ فَضَاحَكْتُ الصِّبْيَانَ وَلاَعَبْتُ الْمَرْأَةَ ـ قَالَ ـ فَخَرَجْتُ فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ ـ رضي الله عنه ـ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ وَأَنَا قَدْ فَعَلْتُ مِثْلَ مَا تَذْكُرُ ، فَلَقِينَا رَسُولَ اللَّه ـ ﷺ ـ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّه نَافَقَ حَنْظَلَةُ فَقَالَ : مَهْ ، فَحَدَّثْتُهُ بالْحَدِيث ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَأَنَا قَدْ فَعَلْتُ مِثْلَ مَا فَعَلَ ، فَقَالَ : **يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً وَلَوْ كَانَتْ تَكُونُ قُلُوبُكُمْ كَمَا تَكُونُ عِنْدَ الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلاَئِكَةُ حَتَّى تُسَلِّمَ عَلَيْكُمْ فِي الطُّرُقِ** » ، وورد بلفظ « **وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِه إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِى وَفِى الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلاَئِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِى طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً... ثَلاَثَ مَرَّاتٍ** »[٣] ، وقد حدث فعلاً فقد كانت الملائكة الأطهار يصافحون عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ وهذا ليس مقصوراً عليه ، بل يمتد إلى أي واحد غيره يداوم على ذكر الله وعلى

(١) متفق عليه . (٢) الحاكم ، وصححه ، ووافقه الذهبي . (٣) مسلم .

طاعته وحُسن التوكل عليه .

وقال رسول الله - ﷺ - : « **إن ما تذكرون من جلال الله عز وجلَّ من التهليل والتكبير والتحميد يتعاطفن حول العرش ، لهن دوّى كدوّى النحل يُذَكِرْنَ بصاحبهن ، أفلا يحب أحدكم أن يكون له ما يُذكرُ به ؟** »(١) ، فالتهليل والتكبير والتحميد يُذَكرنَ بصاحبهن عند الشدة ؛ و« **من توضأ فقال بعد فراغه من وضوئه : سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ، كتب في رقٍ ثم جعل في طابع فلم يكسر إلى يوم القيامة** »(٢) ، وعند النسائي « **ثم رفعت تحت العرش فلم تكسر إلى يوم القيامة** » .

بل أعلى وأَجَلُّ من ذلك - إخواني - أن الله يذكر من يذكره «**يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عبدي بي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذكرني ، فَإِنْ ذكرني في نَفْسه ذَكَرْتُهُ في نفسي ، وَإِنْ ذكرني في مَلأٍ ذَكَرْتُهُ في مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْه ذراعاً ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِراعاً تَقَرَّبْتُ إِلَيْه باعاً ، وَإِنْ أَتاني يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً** »(٣) .

وخرَّج ابن أبى الدنيا - رحمه الله - بإسناد له أن النبي - ﷺ - قال لمعاذ رضي الله عنه : « **يا معاذ كم تذكر ربك كل يوم ؟ تذكره كل يوم عشرة آلاف مرة ؟** ، قال كلّ ذلك أفعل ، **قال : أفلا أدلك على كلمات هنَّ أهون عليك من عشرة آلاف وعشرة آلاف ، أن تقول : لا إله إلا الله عدد ما أحصاه ، لا إله إلا الله عدد كلماته ، لا إله إلا الله عدد خلقه ، لا إله إلا الله زنة عرشه ، لا إله إلا الله ملء سماواته ، لا إله إلا الله ملء أرضه ، لا إله إلا الله مثل ذلك معه ، والله أكبر مثل ذلك معه ، والحمد لله مثل ذلك معه** »(٤) .

وبإسناده أن ابن مسعود رضي الله عنه ذُكر له امرأة تسبح بخيوط معقدة فقال :

---

(١) صحيح ابن ماجة .

(٢) صحيح الجامع .

(٣) متفق عليه .

(٤) جامع العلوم والحكم .

**« ألا أدُلُّك على ما هو خير لكِ منه ؟ ، سبحان الله ملء البر والبحر ، سبحان الله ملء السماوات والأرض ، سبحان الله عدد خلقه ، ورضا نفسه ، فإذًا أنت قد ملأت البر والبحر والسماء والأرض »** [١] .

وبإسناده أيضاً عن المعتمر بن سليمان التيمي ـ رحمه الله ـ قال : كان أبى يحدث خمسة أحاديث ثم يقول: أمهلوا « سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله عدد ما خلق وعدد ما هو خالق ، وزنة ما خلق وزنة ما هو خالق ، وملء ما خلق وملء ما هو خالق ، وملء سماواته وملء أرضه ، ومثل ذلك وأضعاف ذلك ، وعدد خلقه ، وزنة عرشه ، ومنتهى رحمته ، ومداد كلماته ، ومبلغ رضاه وحتى يرضى وإذا رضى ، وعدد ما ذكره به خلقه في جميع ما مضى وعدد ما هم ذاكروه في كل ما بقى ، في كل سنة وشهر وجمعة، ويوم وليلة وساعة من الساعات وتنسم وتنفس ، من الأبد إلى الأبد ، أبد الدنيا والآخرة ، أبداً من ذلك لا ينقطع أوله ولا ينفد آخره » [٢] .

وربما لهذا الفضل العظيم للذكر لمَّا « سُئل النبي ـ ﷺ ـ أي أهل المسجد خير؟ **قال** : **أكثرهم ذكراً لله ـ عز وجلَّ ـ** قيل : أي الجنازة خير؟ ، **قال** : **أكثرهم ذكراً لله ـ عز وجلَّ ـ** قيل: فأي المجاهدين خير؟ **قالأكثرهم ذكراً لله ـ عز وجلَّ ـ** قيل : فأي الحجاج خير؟ ، **قال** : **أكثرهم ذكراً لله ـ عز وجلَّ ـ** قيل : وأي العباد خير؟ ، **قال** : **أكثرهم ذكراً لله ـ عز وجلَّ ـ** » [٣] .

و « **لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ، أيما مسلم دعا بها في مرضه أربعين مرة فمات في مرضه أعطى أجر شهيد ، وإن أبرأ أبرأ وقد غفر له جميع ذنوبه** » [٤] .

---

( ١ ) ، ( ٢ ) جامع العلوم والحكم .

( ٣ ) رواه أحمد موصولاً بإسناد ضعيف .

( ٤ ) صححه الحاكم ، ووافقه الذهبي .

## قـــراءة القـــرآن

القرآن الكريم كتاب الله الخالد المتعبَّد بتلاوته ، الذي عَظَّمَ الله شأنه فأنزله في أفضل الشهور شهر رمضان ، وفى أفضل الليالي ليلة القدر، واختار الواسطة له الروح الأمين جبريل عليه السلام، وأنزله على حبيب الرحمن أفضل أنبيائه ورسله محمد ـ ﷺ ـ ، هذا الكتاب الذي جعله الله هداية وسعادة للمؤمنين خاصة ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) ﴾ [ البقرة :٢ ] ، بل ولعموم الناس كل الناس إن هم عملوا بما فيه ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾ [ البقرة : ١٨٥ ] .

هذا القرآن الذي وصفه الله بانه نور يضيء ويهدى ، وبانه روح تحرك وتحيى ، ولهذا كان من شأن المؤمنين المهتدين بهدى هذا القرآن أن يوصفوا بالنورانية والحياة ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢) ﴾ [ الأنعام : ١٢٢ ] ، وقد وعد الله جماعة المؤمنين إن هم عملوا بهذا القرآن بالشرف والسيادة في الدنيا والآخرة ، فقال ـ جلَّ شأنه ـ : ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ (١٠) ﴾ [ الأنبياء : ١٠ ] ، والذكر هو الشرف والرفعة والسيادة ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ (٤٤) ﴾ [ الزخرف : ٤٤ ] ، وسوف تسألون . . .

وقال الله تبارك وتعالى :﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ ﴾ [ البقرة : ١٢١ ] ، وتلاوة القرآن حق تلاوته أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب ، فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظ العقل تفسير المعاني ، وحظ القلب الاتعاظ والتأثر ، فاللسان يرتل ، والعقل يترجم ، والقلب يتعظ [١] .

---

( ١ ) روضة المحبين في رمضان .

وقال رسول الله ـ ﷺ ـ:«**من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول ﴿ الٓمٓ ﴾ حرف ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف** »[١] ، وعدد حروف القرآن الكريم ٣٢٣٦٧٠ حرفاً[٢] ؛ ولو قسمنا هذا العدد على ٣٠ يوماً ـ وهى الأيام التي لا ينبغي أن نختم القرآن في أكثر منها ـ لأصبح العدد ١٠٧٨٩ حرفاً ، والحرف بعشرة حسنات ، فقراءة جزء واحد فقط تعدل بفضل الله تبارك وتعالى ١٠٧٨٩٠ حسنة ، أخي الكريم تخيَّل معي هذا العدد مائة ألف وسبعة آلاف وثمان مائة وتسعون حسنة بقراءة جزء واحد فقط ، والجزء يأخذ حوالي نصف ساعة قراءة ، فأي عمل في الدنيا كلها نكسب فيه هذا الرقم في نصف ساعة .

## وقراءة القرآن أخي الكريم على ثلاث درجات :

[ ١ ] أن يقرأ العبد القرآن كأنه يقرؤه على الله ـ عز وجلَّ ـ واقفاً بين يديه وهو ناظر إليه، ومستمع منه ، فيكون حاله حال السؤال والتملق والتضرع والابتهال .

[ ٢ ] أن يشهد قلبه كأن الله ـ عز وجلَّ ـ يراه ويخاطبه بألطافه ويناجيه بإنعامه وإحسانه ، فمقامه الحياء والتعظيم والإصغاء والفهم .

[ ٣ ] أن يرىٰ فيُ الكلام المتكلم وفى الكلمات الصفات ، فلا ينظر إلى نفسه ولا إلى قراءته ولا إلى تعلق الإنعام به من حيث أنه منعم عليه ، بل يكون مقصور الهم على المتكلم ، موقوف الفكر عليه كأنه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره ، وهذه درجة **المقربين** ، وما قبله درجة أصحاب **اليمين** ، ومن خرج عن هذا فهو من **الغافلين**[٣] .

وأعلى مما سبق ـ أخي الكريم ـ هو حفظ القرآن الكريم والعمل بما فيه يرفع العبد إلى أعلى درجات الجنة فـ « **يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت**

---

( ١ ) صحيح الجامع .
( ٢ ) الإتقان في علوم القرآن .
( ٣ ) روضة المحبين في رمضان .

**ترتل في دار الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها »** [١] ، وصاحب القرآن هو العامل به ، المحب له ، الملازم لتلاوته والمشهور بذلك ، وقال بعض العلماء : إن من عمل بالقرآن فكأنه يقرؤه دائماً وان لم يقرأه ، ومن لم يعمل بالقرآن فكأنه لم يقرؤه وإن قرأه دائماً ، و« **درج الجنة على قدر آي القرآن بكل آية درجة »** [٢] ، وفى شعب البيهقي « **عدد درج الجنة عدد آي القرآن »** .

بل يجعل العبد مع الملائكة المكرمين المقربين فـ« **الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ الْبَرَرَةِ،وَالَّذى يَقْرأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌ لَهُ أَجْرَان »** [٣]، وعند البخاري « **مَثَلُ الَّذى يَقْرأُ الْقُرْآنَ وَهْوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ ، وَمَثَلُ الَّذى يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهْوَ يَتَعَاهَدُهُ وَهْوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ »** ، والماهر هو الحاذق الكامل الحفظ من غير تردد مع جودة التلاوة، والسفرة الكرام هم الملائكة المكرمين المقربين عند الله تعالى الذين ينقلون من اللوح المحفوظ .

بل يجعله أقرب الناس من الله في جنته ـ سبحانه وتعالى ـ ، قال رسول الله ﷺ : « **إن لله أهلين من الناس** ، قالوا يا رسول الله من هم ، **قال : هم أهل القرآن أهل الله وخاصته »** [٤] وأهلين جمع أهل ، وأهل القرآن أي حفظته العاملون به ، وأهل الله أي أولياؤه المختصون به اختصاص أهل الإنسان به .

**و« من قرأ القرآن وتعلمه وعمل به أُلبس والداه يوم القيامة تاجاً من نور ضوؤه مثل ضوء الشمس ، ويكسى والداه حلتين لا يقوم لهما الدنيا ، فيقولان بم كسينا هذا ، فيقال : بأخذ ولدكما القرآن »** [٥] .

وتلاوة ألفاظ القرآن الكريم وحفظ آياته يقدرُ عليها الصغير والكبير، والمؤمن والمنافق والبر والفاجر بل والكافر ، مثله مثل أي كلام نقرؤه وبالتالي لا يمكن لأي شخص أن يصبح من أهله بمجرد حفظه وكثرة قراءته لألفاظه ، ولله در أمير

---

( ١ ) صحيح الجامع .
( ٢ ) أخرجه الديلمي في مسند الفردس .
( ٣ ) مسلم .
( ٤ ) صحيح سُنن ابن ماجه .
( ٥ ) صحيح الترغيب والترهيب .

المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ حين قال : " لا يغرركم من قرأ القرآن ، إنما هو كلام نتكلم به ، ولكن انظروا من يعمل به " (١) .

فالقرآن نزل ليُعمل به فيجب أن تتخذ تلاوته عملاً ، ولهذا كان أهل القرآن هم العالمين به والعاملين بما فيه وإن لم يحفظوه عن ظهر قلب ، وأما من حفظه ولم يفهمه ولم يعمل به فليس من أهله وإن أقام حروفه إقامة السهم (٢) .

قال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون ، وبنهاره إذا الناس مفطرون ، وبحزنه إذا الناس يفرحون ، وببكائه إذا الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يخوضون ، وبخشوعه إذا الناس يختالون؛ وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكياً محزوناً حكيماً حليماً سكينًا ؛ وينبغي لحامل القرآن أن لا يكون جافياً ولا غافلاً ولا سخاباً ولا صياحاً ولا حديداً .

وقد كان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوهن إلى العشر الأخرى حتى يعملوا بهن ، فتعلموا القرآن والعمل جميعاً ؛ ويُحدث التابعي الجليل أبو عبد الرحمن السُلَمي ـ رحمه الله ـ أنه سيرث القرآن قوم يشربونه شرب الماء لا يجاوز هذا ـ وأشار إلى حنكه (٣) .

إنهم ـ في الجيل الأول ـ لم يكونوا يقرؤون القرآن بقصد الثقافة والإطلاع ، ولا بقصد التشوق والمتاع ، لم يكن أحدهم يتلقى القرآن ليستكثر به من زاد الثقافة لمجرد الثقافة ، ولا ليضيف إلى حصيلته من القضايا العلمية والفقهية محصولاً يملأ به جعبته ، إنما كان يتلقى القرآن ليتلقى أمر الله في خاصة شأنه وشأن الجماعة التي يعيش فيها ، وشأن الحياة التي يحياها هو وجماعته ، يتلقى ذلك الأمر ليعمل به فور سماعه ، كما يتلقى الجندي في الميدان الأمر اليومي ليعمل به فور تلقيه! ومن ثم لم يكن أحدهم ليستكثر منه في الجلسة الواحدة ، لأنه كان يحس أنه إنما يستكثر من واجبات وتكاليف يجعلها على عاتقه .

---

(١) اقتضاء العلم العمل . (٢) زاد المعاد . (٣) فضائل القرآن .

هذا الشعور ـ **شعور التلقي للتنفيذ** ـ كان يفتح لهم من القرآن آفاقًا من المتاع وآفاقًا من المعرفة لم تكن لتفتح عليهم لو أنهم قصدوا إليه بشعور البحث والدراسة والإطلاع ، وكان ييسر لهم العمل ، ويخفف عنهم ثقل التكاليف ، ويخلط القرآن بذواتهم ، ويحوله في نفوسهم وفي حياتهم إلى منهج واقعي ، وإلى ثقافة متحركة لا تبقى داخل الأذهان ولا في بطون الصحائف ، إنَّما تتحول آثاراً وأحداثًا تحوِّل خط سير الحياة . . .إن **هذا القرآن** لا يمنح كنوزه إلا لمن يُقبل عليه بهذه الروح ، **روح المعرفة المنشئة للعمل** ، **روح التلقي للتنفيذ** .

إن منهج التلقي للتنفيذ والعمل هو الذي صنع الجيل الأول . ومنهج التلقي للدراسة والمتاع هو الذي خرَّج الأجيال التي تليه . . . وما من شك أن هذا العامل الثاني كان عاملاً أساسيًا ، كذلك في اختلاف الأجيال كلها عن ذلك الجيل المميز الفريد[١] .

واليك ـ أخي الكريم ـ هذا البرنامج البسيط لعلنا نقتفى أثر صحابة رسولنا الكريم ـ ﷺ ـ في العمل بكتاب الله ، فعدد آيات القرآن ٦٣٢٦ آية ، فلو حفظ كل واحدٍ منا عشر آيات يومياً وعلم ما فيهن من أحكام ـ وليكن من تفسير مختصر اختصاراً غير مخل ، مثل مختصر تفسير ابن كثير للشيخ أحمد شاكر أو للشيخ محمد نسيب الرفاعى ـ رحمها الله عز وجلَّ ـ وعمل بها وطبقها على نفسه وعلى من هم تحت رعايته ، لأمكننا بفضل الله ـ تبارك وتعالى ـ حفظ كتاب الله علماً وعملاً في حوالي سنتين .

**أخي الكريم:** وأعظم سور القرآن فضلاً هي سورة الفاتحة،قال رسول الله ـ ﷺ ـ لأبى سعيد بن المُعَلَّى ـ رضي الله عنه ـ : **«ألا أُعَلِّمُكَ أَعْظَم سُورةٍ في القُرآنِ قَبْلَ أَنْ تخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ** ؟ فأَخَذَ بيدِي ، فَلَمَّا أَردْنَا أَنْ نَخْرُجَ قُلْتُ : يا رسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ قُلْتَ لأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورةٍ في القُرآنِ ؟ قال :**﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هِي**

---

(١) معالم في الطريق .

السَّبْعُ المَثَاني ، وَالْقُرآنُ الْعَظِيمُ الَّذي أُوتِيتُهُ »(١) ، وقال أيضاً : « **أفضل القرآن الحمد لله رب العالمين**»(٢) ، وقال أيضاً : « **والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها** ـ يعني أُمّ القرآن ـ **وإنها لسبع من المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته** »(٣) .

وقوله أعظم سورة في القرآن هو تصريح منه ـ ﷺ ـ بأنها أعظم سورة في القرآن ، فلا ينبغي بعد هذا أن يقال سورة كذا مثل الفاتحة في العِظم استدلالاً بما ورد في بعض السور من عظم الثواب لتاليها ، فإن الثواب شيء آخر ، وقد يكون هذا العِظَم المنصوص عليه لهذه السورة مستلزماً لِعظم أجرها وأنه أعظم من الأجور المنصوص عليها في غيرها من السور(٤) .

وهي متضمنة لجميع معاني كتب الله ، مشتملة على ذكر أصول الأسماء الحسنى للرب ـ تبارك وتعالى ـ ومجامعها ، **وهي الله والرب والرحمن** ، فاسم الله متضمن لصفات الألوهية ، واسم الرب متضمن لصفات الربوبية ، واسم الرحمن متضمن لصفات الإحسان والجود والبر، ومعاني أسمائه ـ جلَّ وعلا ـ تدور على هذا؛ والسورة أيضاً متضمنة **لإثبات المعاد** ، وذكر **الافتقار** إلى الرب ـ سبحانه ـ في طلب الإعانة وطلب الهداية ، وتخصيصه سبحانه بذلك ، وفي﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** (٥) ﴾ خصوصاً من عموم التفويض والتوكل ، والالتجاء والاستعانة ، والافتقار والطلب ، والجمع بين أعلى الغايات ، وهي عبادة الرب وحده ، وأشرف الوسائل وهي والاستعانة به على عبادته ما ليس في غيرها ، وفيها ذكر **أفضل الدعاء** على الإطلاق وأنفعه وأفرضه ، وما العباد أحوج شيء إليه ، وهو الهداية إلى صراطه المستقيم ، المتضمن كمال معرفته وتوحيده وعبادته ـ بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه ، والاستقامة عليه إلى الممات ، وتتضمن ذكر أصناف الخلائق وانقسامهم إلى مُـنْعَمٍ عليه بمعرفة الحق والعمل به ومحبته وإيثاره ،

---

(١) البخاري .

(٢) ، (٣) صحيح الجامع .

(٤) تحفة الذاكرين .

**ومغضوب** عليه بعدوله عن الحق بعد معرفته له ، **وضال** بعدم معرفته له ، وهؤلاء هم أقسام الخليقة، **مع تضمنها لإثبات** القدر والشرع والأسماء والصفات والمعاد والنبوات ، وتزكية النفوس وإصلاح القلوب ، وذكر عدل الله وإحسانه ، والرد على جميع أهل البدع والباطل (١) .

فأول السورة **رحمة** ، وأوسطها **هداية** ، وآخرها **نعمة** ، وحظ العبد من النعمة على قدر حظه من الهداية ، وحظه من الهداية على قدر حظه من الرحمة ، فعاد الأمر كله إلى نعمته ورحمته ، فمن تحقق بمعاني الفاتحة علماً ومعرفة وعملاً وحالاً فقد فاز من كماله بأوفر نصيب ، وصارت عبوديته عبودية الخاصة (٢) .

وطلب الهداية إلى صراط الله المستقيم يتضمن أيضاً الترقي في مراتب ومنازل ودرجات الهداية ، **فالهدى يهدى إلى الهدى** .....حتى يصل العبد إلى القرب من ربه ـ عز وجلَّ ـ فأعمال البر تثمر الهدى ، وكلما ازداد منها ازداد هدى ؛ وذلك أن الله ـ سبحانه ـ يحب أعمال البر فيجازي عليها بالهدى والفلاح ، وأيضاً فإنه ـ سبحانه وتعالى ـ البَرُّ ويحب أهل البِر ، فيقرب قلوبهم منه بحسب ما قاموا به من البر ، والهداية لا نهاية لها ولو بلغ العبد فيها ما بلغ ، ففوق هدايته هداية أخرى وفوق تلك الهداية هداية أخرى إلى ما لا نهاية ، فكلما اتقى العبد ربه ارتقى إلى هداية أخرى ، فهو في مزيد هداية ما دام في مزيد من التقوى ، وكلما فوَّت حظاً من التقوى فاته حظ من الهداية بحسبه ، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ **وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى** ﴾ [ مريم :٧٦ ] ، وقال جلَّ شأنه : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا** ﴾ [الأنفال: ٢٩ ] ، ومن الفرقان ما يعطيهم من النور الذي يفرقون به بين الحق والباطل ، ومنه النصر والعز الذي يتمكنون به من إقامة الحق وكسر الباطل ، فالهدى والفضل والنعمة والرحمة متلازمان لا ينفك بعضهما عن بعض (٣) .

---

( ١ ) زاد المعاد . ( ٢ ) الفوائد . ( ٣ ) الفوائد .

وأعظم آية في القرآن الكريم آية الكرسي « فعن أُبَيٍّ بن كَعْب ـ رضي الله عنه ـ قَالَ : قال رسولُ الله ـ ﷺ ـ : **يا أبا المُنذر أَتَدْرِي أيُّ آية من كتاب الله معكَ أَعْظَمُ ؟**، قُلْتُ : ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ ، **فَضَرَبَ في صَدْري وَقَال : لِيهْنكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنذِرِ** »(١)، وقال أيضاً : « **من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت** »(٢) .

وإليك ـ أخي الحبيب ـ بعضًا من معانيها لنتدبرها حال قراءتها ؛ الله جلَّ جلاله لا سَميَّ **ولا شبيه** له في كمال ذاته وصفاته وأفعاله ، فهو الإله الذي لا معبود بحق سواه . فلا يُشَرِّع غيره ، ولا يُتوجه بالعبادة إلا له ، ولا يلتزم بطاعة أحد إلا هو ومن يأمر هو فقط بطاعته ، وإن ألَّهت بعض البشر غيره فعبدوها من دونه إلا أن الله ـ تبارك وتعالى ـ هو المتفرد بالألوهية الحقة ، **فهو حيٌّ** في نفسه حياة ذاتية لم تأت من مصدر آخر كحياة جميع الخلائق ، ناهيك عن حياة من عبدوهم من دونه، حياة أبدية لا تبدأ من مبدأ ولا تنتهي إلى نهاية ، أما غيره فيموت ، **سبحانه قائم** بذاته ، متولي تدبير وتنسيق جميع شؤون خلقه ولا قيام لهم إلا قياماً مرتكناً إلى وجوده وتدبيره ، مخالف لهم في كل صفاتهم ... ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [ الشورى : ١١ ] .

وهو ـ سبحانه وتعالى ـ لا يغلبه نوم ولا حتى مجرد فتور ونعاس ، له كل ما في السماوات والأرض ملكاً وخلقاً وعبيداً ، لا يتجاسر أحد على أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه ولمن ارتضاه هو ـ جلَّ وعلا ـ ، **وهو توضيح لمقام الألوهية ومقام العبودية** ، فالعبيد كل العبيد لهم حدودهم لا يتجاوزونها بين يدي ربهم ومليكهم ، أحاط علمه بجميع الكائنات ماضيها وحاضرها ومستقبلها ما ظهر منها وما بطن ، لا يطلع أحد على شيء من علمه إلا بإذنه ، فكل العلوم التي تعلمها وسيتعلمها البشر في كل زمان وفي كل مكان هي بإذنه ، وفي الوقت

(١) مسلم . (٢) صحيح الجامع .

الذي قدَّره وأراده فـ ﴿ لِكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [ الأنعام : ٦٧ ] وهو القائل أيضاً :﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [ القمر :٤٩ ] ، وهذا العلم كل العلم ، وفي كل المجالات ، وإلى يوم القيامة ، قليلٌ قليلٌ ... ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [ الإسراء : ٨٥ ] ، وهو بالنسبة إلى علم الله كمثل ما نقصت نقرة عصفور من البحر !؟ ، وكرسيّه ـ سبحانه وتعالى ـ ، وهو موضع قدميه ، كما أخرجه الحاكم وصححه على شرط الشيخين موقوفاً عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، أعظم المخلوقات بعد العرش ، وهو جرم قائم بنفسه وليس شيئاً معنوياً فـ « **ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة بأرض فلاة ، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة** »[١] ، وقال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ : « **ما بين السماء السابعة إلى الكرسي مسيرة خمسمائة عام ، وما بين الكرسي إلى الماء مسيرة خمسمائة عام ، والعرش على الماء** »[٢]،ولا يثقله ولا يتعبه حفظ السماوات والأرض وما فيهن،بل هو سهل يسير عليه ـ جلَّ وعلا ـ بل هو ـ جلَّ وعلا ـ ﴿ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولاَ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ [ فاطر : ٤١ ] .

وهو المتفرد بالعلو والعظمة في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله ، فهو صاحب الذات العلية وصاحب العلو والفوقية على عرشه فوق سماواته ، وفوق جميع خلقه ، وما يتطاول أحد من العبيد إلى هذا المقام إلا ويرده الله إلى الخفض والذلة والهون،وإلى العذاب في الآخرة والهوان ، وهو القائل :﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [القصص:٨٣] ، وقال عن فرعون في معرض الهلاك ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [ الدخان : ٣١ ]، وإن علا الإنسان ما علا وعظم ما عظم فلا يجوز له أن يتجاوز مقامه ، مقام

---

( ١ ) السلسلة الصحيحة .

( ٢ ) رواه البيهقي في الأسماء والصفات موقوفًا ، والموقوف له حكم المرفوع لأن مثله لا يُقال بالرأي .

العبودية لله العلى العظيم على الحقيقة ، وعندما تستقر هذه الحقيقة في نفس الإنسان فإنها تثوب به إلى مقام العبودية، وتطامن من تكبره وطغيانه ، وترده إلى خشية الله ـ جلَّ وعلا ـ والى الأدب في حقه،والتحرج من الاستكبار على عباده .

و« **مَنْ قَرأَ بالآيتيْنِ منْ آخرِ سُورةِ البقَرةِ في لَيْلَةٍ كَفتَاهُ** » [(١)] ، قيل كَفتَاهُ المَكْرُوهَ تلْكَ اللَّيْلَةَ ، وَقيلَ كَفتَاهُ منْ قيَامِ اللَّيْلِ ؛ و« **منْ حفظَ عشْر آيات منْ أوَّلِ سُورةِ الْكَهْف عُصم منَ الدَّجَّال** » ، وفي رواية أخرى « **منْ آخرِ سُورةِ الكهْف** » [(٢)] ؛ و « **منَ القُرآنِ سُورةٌ ثَلاثُون آيةً شَفعتْ لِرجُلٍ حتَّى غُفر لَهُ ، وهِيَ تبارَكَ الذي بيَدِه المُلْكُ** » [(٣)] .

وسورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن في الفضل لمن تلاها،قال رسول الله ﷺ : « **أَيَعْجزُ أَحدُكُم أَنْ يقرأَ بثُلُث الْقُرآن في لَيْلَة** ، فَشَقَّ ذلكَ علَيْهِمْ ، وقالُوا أَيُّنَا يُطيقُ ذلكَ يا رسولَ اللَّه ؟، فقال :﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢** ﴾ **ثُلُثُ الْقُرْآن** » [(٤)] ؛ **بل وحُبها** لأن فيها صفة الرحمن جلَّ وعلا يُدخلُ العبد الجنةً ، قال رجُل:يا رسول اللَّه إِني أُحبُّ هذه السُّورَةَ ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ ، قال: « **إِنَّ حُبَّها أَدْخَلَكَ الجَنَّةَ** » [(٥)] ؛ بل أيضاً سبب في حُب الله ـ جلَّ وعلا ـ للعبد ، ففي رواية أخرى « **أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحبُّهُ** » [(٦)] .

**واليك أخي الحبيب :**

بعضًا من معانيها لنزداد حباً لربنا ؛ الله الذي لا معبود بحق سواه ﴿ **أَحَدٌ** ﴾ لا يتجزأ،وهذا اللفظ أدق من ـ واحد ـ لأنه يضيف إلى معنى واحد أن لا شيء غيره معه، ولا يتجزأ ولا ينقسم في ذاته ولا في معنى صفاته، وأن ليس كمثله شيء ، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أسماءه ولا في أفعاله ، ولا يوصف بالأحدية أحدٌ أبداً إلا الله ـ تبارك وتعالى ـ فلفظ ﴿ **أَحَدٌ** ﴾ يفيد نفى المشاركة والمماثلة في

---

(١) متفق عليه . (٢) مسلم . (٣) الترمذي وحسنه .
(٤) البخاري . (٥) الترمذي وحسنه والبخاري في صحيحه تعليقًا .
(٦) البخاري .

أي وجه من الوجوه .

وهو ـ سبحانه وتعالى ـ صاحب الوجود الحقيقي،وغيره يستمد وجوده منه ، وهو الفاعل الحقيقي في الكون كله ، وهو أحدٌ في ألوهيته والكل له عبيد ، فلا يستحق العبادة رغبة ورهبة غيره ، وهو سبحانه وحده «السيد» الكامل الذي بلغ الغاية العظمى في أنواع الشرف والسُّؤدد ، ولا يلحقه أي نقص على أي وجه من الوجوه ـ كما يفيد القصر بسبب تعريف المسند ﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ فتفيد قصر الصمدية على الله ـ تبارك وتعالى ـ فقط .

وهو وحده المقصود في كل حاجة وفى كل نازلة ، والذي يحتاج إليه كل المخلوقات والمستغنى هو بنفسه عنها جميعًا ، وهو الذي لا يُقضى أمرٌ إلا بإذنه .

وهذان الاسمان ﴿ أَحَدٌ ﴾ و﴿ الصَّمَدُ ﴾ لا يوجدان في القرآن الكريم إلا في هذه السورة ، وربما في ذلك إشارة إلى اسم الله الأعظم! ، وهو ـ سبحانه وتعالى ـ لم يلد ، فليس له بنون وبنات كما زعم الكفار ، ولم يولد ـ سبحانه وتعالى ـ من غيره ، بل هو ـ جلَّ وعلاـ قائم بذاته ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾، والتعدد بالتولد مساوٍ في الاستحالة لتعدد الإله بالأصالة ، وذلك لتساوى ما يلزم من التعدد في كليهما ـ التولد والإله ـ من فسادِ الأكوان فـ ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء:٢٢] ـ وهو برهان التمانع ـ ولأنه لو تولد عن الله موجود آخر للزم انفصال جزء عن الله ـ تبارك وتعالى ـ وذلك منافٍ للأحدية والصمدية ، فنفى الولد والوالد من لوازم الأحدية والصمدية .

وهو ـ سبحانه وتعالى ـ ليس له شبيه ولا نظير ولا مكافئ ولا مثيل لا في ذاته ولا في صفاته وأسماءه ولا في أفعاله ، فهو ـ سبحانه وتعالى ـ في كلِ شئ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى:١١] ، و﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣) ﴾ [الأنعام:١٠٣] و ﴿ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [طه:١١٠]، ـ بل هو سبحانه وتعالى ـ ﴿ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [ الطلاق :١٢] .

وهذا أيضاً نفى للعقيدة الثنائية التي تزعم أن الله - تبارك وتعالى - هو إله الخير وأن للشر إلهاً يعاكس الله - بزعمهم - ويعكس عليه أعماله الخيرة وينشر الفساد في الأرض ، كما كانت تزعم الفرس ومثلهم فراعنة مصر قديماً ، بجهلهم وجاهليتهم ! .

فتضمنت هذه السورة العظيمة على وجازتها إثبات كل كمال لله - سبحانه وتعالى - ونفى كل نقصٍ عنه ، ونفى مطلق الشريك عنه ، ونفى وجود شبيه أو مثيل أو مكافىء له في كمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، فخلّصت سورة الإخلاص هذه المؤمن من الشرك العلمي ، كما خلّصت سورة ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ المؤمن من الشرك العملي والإرادي القصدي .

ومما تقدم من الفضل نتيقن أنه « **لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِى اثْنَتَيْنِ ، رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ فَسَمِعَهُ جَارٌ لَهُ فَقَالَ : لَيْتَنِى أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِىَ فُلاَنٌ فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَهُوَ يُهْلِكُهُ فِى الْحَقِّ فَقَالَ رَجُلٌ : لَيْتَنِى أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِىَ فُلاَنٌ فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ** »(١) .

فـ« **لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِر ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذي تُقْرأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرةِ** »(٢) ، والحذر الحذر من الإعراض عنه ، وعدم قراءته ، والعمل بما فيه ، والتحاكم إليه ، واتخاذه منهج حياة ، فَيَضَعُ الله من فعل ذلك في الدنيا والآخرة فـ « **إِنَّ اللَّه يرفَعُ بِهذَا الكتاب أَقواماً ويضَعُ به آخَرين** »(٣) ، ويبقى القرآن حُجةُ على العبد لا له فـ« ... **الْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ** ... »(٤) .

---

(١) متفق عليه .
(٢) مسلم .
(٣) مسلم .
(٤) مسلم .

## دعـــاء الله - عز وجل -

الدعاء من أجلِّ العبادات التي يتقرب بها العبد إلى الله - تبارك وتعالى - بل هو قربة من أفضل القربات ، قال رسول الله - ﷺ - : «**أفضل العبادة الدعاء**» (١)، وهو مفتاح لكل خير ومغلاقٌ لكل شر ، ومجلبةٌ لكل نفع ودفع لكل ضر ، بل إن الابتلاءات التي يُبتلى الله بها العباد من أمراض وخوف وجوع ونقص في الأموال والأنفس والثمرات **من أجلِّ مقاصدها** حمل العباد على الدعاء والتضرع ، قال الله - تبارك وتعالى - : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ** ﴿٩٤﴾ ﴾ [الأعراف:٩٤]،وقال - جلَّ شأنه -:﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ** ﴿٤٢﴾ **فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا** ﴾ [الأنعام:٤٢-٤٣] ، فالله - جلَّ وعلا - يبتلي عبده ليسمع تضرعه ودعائه وشكواه وتملقه إليه وإظهاره لضعفه وفاقته وعجزه وذله بين يديه ، وليُذهب عنه قسوة قلبه وتجلده على ربه .

ولعظم فضل الدعاء جعله الله كأنه هو العبادة ، فقال تبارك وتعالى : ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴿٦٠﴾ ﴾ [غافر:٦٠] ، وقال رسوله - ﷺ - : «**الدُّعاءُ هو العبادةُ**» (٢) ، بل ان «**أفضل العبادة الدعاء**» (٣) ولكرم الله وجوده على عبيده «**من لم يسأل الله يغضب عليه**» (٤) .

ولقد أرشدنا الله - عز وجلَّ - لأعظم الأدعية في كتابه وكذا رسوله - ﷺ - في سنته ، فمما قاله الله - تبارك وتعالى -: ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ** ﴾ [التحريم:١١] قال العلماء اختارت

---

(١) صحيح الجامع

(٢) صحيح الجامع

(٣) صحيح الجامع

(٤) صحيح جامع الترمذي

الجار قبل الدار ، فاختارت القرب من الله ـ عز وجلَّ ـ في جنته ،ومما قاله رسوله ﷺ : « ... فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ » (١) .

وقال رسول الله ـ ﷺ : « اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي ، اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الرضا والغضب، وأسألك القصد في الغنى والفقر ،وأسألك نعيماً لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع ، وأسألك الرضا بعد القضاء ، وأسألك برد العيش بعد الموت ، وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة ، اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين » (٢) .

وقال أيضاً : « اللهم ارزقني حبك وحب من ينفعني حبه عندك ، اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله قوة لي فيما تحب ، اللهم وما زويت عني مما أحب فاجعله فراغاً لي فيما تحب » (٣) ،وكان من دُعاء دَاوُدَ ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام : « اللَّهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ من يُحبُّكَ وَالعمَل الذي يُبَلِّغُني حُبَّكَ، اللَّهُمَّ اجْعل حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ من نَفسي وأَهْلي ومن الماء البارد » (٤) ، وقال رسول الله ـ ﷺ ـ مُعلماً أُمته : « اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ، ما علمت منه وما لم أعلم ، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ، ما علمت منه وما لم أعلم ، وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل، وأسألك مما سألك به محمد ـ ﷺ ـ وأعوذ بك مما تعوذ به محمد ـ ﷺ ـ وما قضيت لي من قضاء فاجعل عاقبته رشداً » (٥) .

---

(١) البخاري . (٢) صحيح سنن النسائي . (٣) الترمذي وحسنه.
(٤) الترمذي وحسنه. (٥) صحيح الجامع

وعند ابن حبان موقوفاً على ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ : « اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد ، ونعيماً لا ينفد ، ومرافقة محمد ـ ﷺ ـ في أعلى جنة الخلد » .

وكانَ أكْثَرُ دُعَاءِ النبيِّ ـ ﷺ ـ « **اللَّهُمَّ آتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وفي الآخرة حَسَنَةً وَقِنَا عَذابَ النَّارِ** » (١) ، وأرشدنا أنه « **ما من دعوة يدعو بها العبد أفضل من اللهم إني أسألك المعافاة في الدنيا والآخرة** » ، صحيح وله شاهد من حديث أبي الدرداء مرفوعاً بلفظ « **ما سأل العباد شيئاً أفضل من أن يغفر لهم ويعافيهم** » (٢) ، وأوصى رسول الله ـ ﷺ ـ أحد الصحابة بدعاء مختصر جامع فقال : « **قل اللهم اغفر لي وارحمني وعافني وارزقني ، فإن هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك** » (٣) .

وقَالَ أيضاً : « **اللهم اجعل أوسع رزقك عليَّ عند كبر سني ، وانقطاع عمري** » (٤) ، وأخبرنا أن « **مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ** » (٥) .

وسمع النبي ـ ﷺ ـ رجلاً يقول في التشهد « **اللهم إني أسألك بأن لك الحمد ، لا اله إلا أنت وحدك لا شريك لك المنان ، يا بديع السموات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا حي يا قيوم ، إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار** » ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ لأصحابه : تدرون بما دعا ؟ ، قالوا الله ورسوله أعلم ، قال : **والذي نفسي بيده لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى** » (٦) .

وقال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **ما أصاب أحداً قط هم ولا حزن فقال : اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماض فيّ حكمك ، عدل فيّ قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو علمته أحداً**

---

(١) متفق عليه (٢) السلسلة الصحيحة (٣) صحيح الجامع
(٤) صحيح الجامع (٥) مسلم (٦) الترمذي

من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهاب همي ، إلا أذهب الله همه وحزنه ، وأبدله مكانه فرجاً ، قال: فقيل يا رسول الله ألا نتعلمها ، فقال : بلى ، ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها »[١] .

وقال أيضاً: «أَقْرَبُ ما يَكُونُ العبدُ من ربِّه وَهُوَ سَاجِدٌ ،فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»[٢]، و« يُسْتجَابُ لأَحَدِكُم ما لَم يعْجلْ ، يقُولُ : قَد دَعوتُ رَبِّي ، فَلم يسْتَجبْ لي »[٣] .

(١) أحمد . (٢) مسلم. (٣) متفق عليه

# حُسن الخُلق

حُسن الخلق هو التخلق بأخلاق القرآن ، فهذا هو القدوة والأسوة رسول الله ﷺ : « **كان خلقه القرآن** »(١) كما أخبرت بذلك أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - ومعنى هذا أنه كان - ﷺ - مهما أمره الله في قرآنه امتثله،ومهما نهاه عنه تركه ، ولذلك:« **كانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقاً** »(٢)،وقد حصر رسالته - ﷺ - كلها في حُسُن الخُلُق فقال : « **إنما بُعثْتُ لأُتَمِّمَ مكارمَ الأَخْلاَق** »(٣) ، لذلك فـ« **ما من شَيءٍ أثْقَلُ في ميزَانِ المُؤمِنِ يَومَ القِيامة من حُسْنِ الخُلُقِ ، وإنَّ اللَّه يُبغضُ الفَاحشَ البَذيء** »(٤) والبذيء هو الذي يَتكلَّم بالفُحْشِ ورديء الكلام ؛ ولم يكن رسولُ اللَّه - ﷺ - فَاحِشاً ولا مُتفحِّشاً ؛وكانَ يَقُولُ : « **إنَّ من خيارِكُم أَحْسَنَكُم أَخْلاَقاً** »(٥) ، و« **أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقاً** »(٦) .

ولذلك فـ« **إن المؤمن يدرك بحُسن خلقه درجات قائم الليل صائم النهار** »(٧) ، وحَسنُ الخلق أقرب الناس مجلساً من رسول الله - ﷺ - في الجنة لقوله : « **إن من أَحبِّكم إليَّ وأَقْربكُمْ منِّي مَجلساً يوم القِيامَة أَحَاسنكم أخلاقاً ، وإنَّ أَبغضكُم إليَّ وأَبْعدكُم منِّي يوم القِيامة الثَّرثَارُونَ والمُتشدِّقُون والمُتفيهقُون ، قالوا : يا رسول اللَّه قَدْ علمْنا الثَّرثَارُونَ والمُتشدِّقُونَ ، فما المُتفيهقُونَ ؟، قال : المُتكبِّرُونَ** »(٨)، والثَّرثَارُ هُوَ كَثيرُالكَلامِ تكلُّفاً - والمُتشدِّقُ هو المُتطاولُ عَلى النَّاسِ بكَلامه،ويَتكلَّمُ بملء فيه تَفاصُحاً وتَعْظيماً لكلامه ، والمُتَفَيْهقُ أَصلُهُ منَ الفَهْقِ وهُو الامْتلاءُ ، وَهُوَ الذي يَمْلأ فَمَهُ بالكَلامِ ويَتوَسَّعُ فيه وَيُغْرِب بِهِ تَكَبُّراً وَارتِفَاعاً وإظْهَاراً للفَضيلَةِ عَلى غَيْرِهِ .

---

(١) صحيح الجامع . (٢) متفقٌ عليه . (٣) السلسلة الصحيحة .
(٤) صحيح سنن الترمذي . (٥) متفق عليه . (٦) صحيح الجامع.
(٧) صحيح الجامع . (٨) صحيح الجامع.

ومن مظاهر حُسن الخلق البر فـ« **البرُّ حُسنُ الخُلق ...** »[١] ، والبرُّ هو جماع الخير والإحسان إلى الناس ، قال الله تبارك وتعالى :﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧)** ﴾ .

[ البقرة : ١٧٧ ] .

ومن حُسن الخلق أيضاً أن تكون جميع أعمال العبد **خالصة** لله تبارك وتعالى ـ وحده ووفق **هدى** نبيه محمد ـ ﷺ ـ قال الله ـ تبارك وتعالى ـ:﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)** ﴾ [الكهف :١١٠] ، وقال : ﴿ **وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ (١٩) إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَىٰ (٢٠)** ﴾ [الليل : ١٩-٢٠ ]، وقال رسوله ـ ﷺ : « **مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ** »[٢]، ولا يرجو شكراً ولا مكافأة على عمله وإحسانه إلى الناس ﴿ **إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا (٩)** ﴾[الإنسان:٩]، وكانت الصِّديقة بنت الصِّديق ـ عائشة بنت أبي بكر ـ ﵄ ـ إذا أرسلت إلى قوم بصَدقة تقول لرسولها :اسمع ما يدعون به لنا حتى ندعو لهم بمثل ما دعوا لنا ويبقى أجرنا على الله .

ومن حُسن الخلق **الصدق** فـ« **إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ،وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقاً ،وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّاباً** »[٣]،والصدق يكون **في الأقوال** باستقامة اللسان فيها ، **وفي الأعمال** باستقامتها على أمر الله وعلى سُنَّة رسوله ـ ﷺ ـ ، **وفي الأحوال** باستقامة أعمال القلب والجوارح على الإخلاص لله ، واستفراغ الوسع وبذل الطاقة في العمل؛

---

(١) مسلم (٢) متفق عليه . (٣) متفق عليه.

وبحسب كمال هذه الأمور في العبد وقيام العبد بها تكون درجة صديقيته.

ونقيض الصدق وهو الكذب محرم ، بل « **كان أبغض الخُلق إليه ﷺ ، الكذب** »(١) ، حتى أنه « **... ما اطلع منه على شيء عند أحد من أصحابه فيبخل له من نفسه حتى يعلم أن قد ـ أحدث توبة** »(٢) ، وأخبرنا أيضاً : « **إنَّ شَرَّ النَّاسِ ذُو الْوَجْهَيْنِ ، الَّذِى يَأْتِى هَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ** »(٣) ، هذا ولو كان المرء مازحاً « **أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً ، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً ، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه** »(٤) ، وقال :« **ويل للذي يحدّث فيكذب ليضحك به القوم ، ويل له ، ويل له** »(٥) ، وأما اليسير من المزاح فلا ينهى عنه ـ إذا كان صدقاً ـ فإن النبي ـ ﷺ ـ كان يمزح ولا يقول إلا حقاً ، وقد اتفق في مزاحه ثلاثة أشياء : كونه حقاً ، كونه مع النساء والصبيان ومن يحتاج إلى تاديبه من ضعفاء الرجال ، وكونه نادراً ، فلا ينبغي أن يحتج به من يريد الدوام عليه ، فإن حكم النادر ليس كحكم الدائم .

ومن حُسن الخلق ترك الغيبة وهى « **... ذكرك أخاك بما يكره ...** »(٦) ، وتكون باللسان وبالقلم وبالقلب وبالغمز واللمز فـ« **يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته** »(٧) ؛ **والنميمة فـ« لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ »**(٨) ، والقتات هو النمام الذي ينقل كلام الناس على سبيل الإفساد ؛ والمستمع للغيبة والنميمة من غير إنكار شريك فيهما ، ولكي يغيظ المرء الشيطان الرجيم ـ لعنه الله ـ إذا سوَّل له اغتياب أخيه المسلم دعا لأخيه بالخير ، فإن ذلك يغيظ الشيطان ـ لعنه الله ـ فيندفع ولا

---

(١) صحيح الجامع.
(٢) السلسلة الصحيحة .
(٣) متفق عليه.
(٤) صحيح سنن أبى داود
(٥) صحيح سنن أبى داود.
(٦) صحيح سنن أبى داود.
(٧) صحيح الجامع .
(٨) متفق عليه

يلقى خاطر السوء خوفاً من الدعاء مرة أخرى ، والجدل فـ«ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أتوا الجدل » ( صحيح الجامع ) .

ولا ينبغي للعبد أن يقول إلا التي هي أحسن ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [ الإسراء : ٥٣ ] ، فيختاروا أحسن ما يقال ليقولوه . . .فالشيطان ينزغ بين الإخوة بالكلمة الخشنة تفلت، وبالرد السيء يتلوها . . . فإذا جو الود والمحبة والوفاق مشوب بالخلاف ثم . . .الجفوة ثم . . .العداء، والبداية كلمة، لذا فـ«إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا يَهْوِى بِهَا فِى النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ» (١) .

ومن حُسن الخلق الحياء فـ« إِن لِكُلِّ دِينٍ خُلُقا وإِن خُلُقَ الإِسْلاَمِ الْحَيَاءُ»(٢)، وقال الله ـ تبارك وتعالى ـ :﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [ الحديد : ٤ ] وقال جلَّ في علاه : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ [ العلق : ١٤ ] ، وقال ـ جلَّ شأنه ـ:﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾ [ غافر:١٩ ] ، فيستحي العبد من الله وهو يعلم أنه مُطَّلِع عليه فيراه على معصية ، وأرفع درجة منه أن يستحي أن يطَّلع الله على قلبه فيراه يفكر في معصيته أو يُشرك معه غيره في قصده ونيته فـ« إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ » (٣) ، وأرفع درجة منه أن يستحي من مجرد التفكير في غيره ـ سبحانه وتعالى ـ .

ومن حُسن الخلق العدل فـ« إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِى حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا » (٤) .

ومن حُسن الخلق إصلاح ذات البين ، فقد سئل رسول الله ـ ﷺ ـ عن أفضل الناس فقال : « كل مخموم القلب صدوق اللسان ، فقالوا : صدوق اللسان

---

(١) متفق عليه.
(٢) صحيح الجامع.
(٣) مسلم.
(٤) مسلم.

نعرفه ، فما مخموم القلب ؟ ، **قال : التقى النقي لا إثم فيه ولا بغى ولا غل ولا حسد** »[١] ، وقال أيضاً : « **ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ، إصلاح ذات البين ، فإن فساد ذات البين هي الحالقة** »[٢] ،وفى رواية « **لا أقول تحلق الشعر ، ولكن تحلق الدين** » ، وقال أيضاً : « **إياكم وسوء ذات البين فإنها الحالقة** » ، وسوء ذات البين ، يعني العداوة والبغضاء ، وقوله الحالقة أي : تحلق الدين[٣] .

ومن حُسنُ الخُلق **الجود وإلانة الجانب والكلام اللين مع الناس** ، وخصوصاً المؤمنين منهم فـ « **إن في الجنة غرفاً يُرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ، أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام ، وألان الكلام ، وتابع الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام** »[٤] ، و« **ألا أخبركم بمن يحرمُ على النار أو بمن تحرمُ عليه النار ، على كل قريب هيّن سهل** »[٥] .

ومن حُسن الخلق **مداراة الفاحش البذيء الشرّير** « فعَنْ عَائِشَةَ ـ رضي الله عنها ـ أَنَّ رَجُلاً اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ فَلَمَّا رَآهُ قَالَ : بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ وَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ ، فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبِيُّ ـ ﷺ ـ فِى وَجْهِهِ وَانْبَسَطَ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ رضي الله عنها :يَا رَسُولَ اللَّهِ حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا ، ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِى وَجْهِهِ وَانْبَسَطْتَ إِلَيْهِ ،فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَا عَائِشَةُ مَتَى عَهِدْتِنِى فَحَّاشاً ، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ » وفى رواية أخرى «مَنْ تَرَكَهُ ـ أَوْ وَدَعَهُ ـ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ »[٦] .

**والمداراة** هي خفض الجناح للناس ولين الكلمة وترك الإغلاظ لهم في القول ، والرفق بالجاهل في التعليم،وبالفاسق في النهي عن فعله ، وترك الإغلاظ عليه بحيث لا يظهر ما هو فيه ، والإنكار عليه بلطف القول والفعل ، ولا سيما إذا

---

( ١ ) صحيح سُنن ابن ماجة .
( ٢ ) صحيح الجامع.
( ٣ ) صحيح سُنن الترمذي .
( ٤ ) صحيح الجامع .
( ٥ ) السلسلة الصحيحة .
( ٦ ) البخاري

احتيج إلى تالفه ونحو ذلك ـ ، وذلك من أقوى أسباب الألفة ـ وهي مندوب إليها ؛ وهي غير **المداهنة** التي هي معاشرة الفاسق وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه ، وهي محرمة شرعاً .

ومن حُسن **الخُلق التغاضي والتغافل** ، وهما من أخلاق الأكابر والعظماء ، ومما يرفع المنزلة ويعلى المكانة ، ويعين على استبقاء المودة واستجلابها ووأد العداوة والمباغضة ، ثم إنهما دليل على سُمُوِّ النفس وشفافيتها ، وأكثر ما يُحتاج إليه هذا الخلق مع الزوجة ومع الإخوان ، فإنه لَمَّا أسَرَّ النبي ـ ﷺ ـ إلى بعض أزواجه حديثاً ونبأت به غيرها وأعلمه الله بذلك ، ذكر لها بعض الحديث وتغاضى عن بعضه ـ لأدبه وخُلُقه الكريم ـ وتعلم منه هذا الخُلُق الكريم الصالحون من أمته ، فهذا أمير المؤمنين ـ **علي بن أبي طالب** ـ رضي الله عنه ـ يقول :

أُغَمِّضُ عيني عن أمورٍ كثيرةٍ ... وإني على ترك الغَمُوضِ قديرُ
وما من عمىً أُغضي ولكن لربما ... تعامى وأغضى المرءُ وهو بصيرُ
وأسكت عن أشياءَ لو شئتُ قلتُها ... وليس علينا في المقال أميرُ
أُصَبِّر نفسي باجتهادي وطاقتي ... وإني بأخلاق الجميع خبيرُ

**وقال الإمام الشافعي ـ رحمه الله :** لابد للعاقل أن يتغافل ، وكان من صفات **صلاح الدين الأيوبي** ـ رحمه الله ـ الصبر على ما يكره ، وكثرة التغافل عن ذنوب أصحابه ، يسمع من أحدهم ما يكره ولا يُعلمه بذلك ولا يتغير عليه .

**وقال الإمام الشنقيطي ـ رحمه الله :**

ليس الغبيُّ بسيد في قومه ... لكنَّ سَيِّدَ قومه المتغابي

ومن حُسن الخلق **المسكنة والافتقار والتملق لله ـ عز وجلَّ ـ وحده** فقد قال النبي ﷺ : « **اللهم أحيني مسكيناً ، وأمتني مسكيناً ، واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة** ، فقالت عائشة رضي الله عنها لِمَ يا رسول الله؟، **قال : إنهم يدخلون**

الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً ، يا عائشة لا تردي المسكين ولو بشق تمرة ، يا عائشة أحبي المساكين وقربيهم ، فإن الله يقربك يوم القيامة » (١) .

ومن حُسن الخُلق قضاء حوائج الناس وتحمل أذاهم فـ « أحب الناس إلى الله أنفعهم ، وأحب الأعمال إلى الله ـ عز وجلَّ ـ سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة ، أو تقضي عنه ديناً ، أو تطرد عنه جوعاً ، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في المسجد شهراً ، ومن كف غضبه ستر الله عورته ، ومن كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رضى يوم القيامة ، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام ، وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل » (٢) .

ومن حُسن الخلق عدم التعصب إلا لله ورسوله ـ ﷺ ـ والولاء والبراء لهما ، وترك العصبية الجاهلية للأشخاص والجماعات، فإن كان لابد من تعدد الجماعات الداعية لدين الله ـ عز وجلَّ ـ العاملة على عودة الخلافة الإسلامية الراشدة ،فليكن تعددها تعدد تنوع وتخصص، لا تعدد تضارب وتناقض، فتعدد التنوع يؤدى إلى مزيد من الإثراء والنماء، وتعدد التناقض إنما يؤدى إلى التآكل والفناء (٣) ، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ (١٠٦) ﴾ [ يوسف : ١٠٦ ]،وقال رسوله ـ ﷺ ـ : « لاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَنَاجَشُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَدَابَرُوا ، وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَاناً .. الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ وَلاَ يَحْقِرُهُ .. التَّقْوَى هَا هُنَا " وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ ، دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ » (٤) .

---

( ١ ) صحيح سنن الترمذي .
( ٢ ) صحيح الجامع.
( ٣ ) في فقه الأولويات .
( ٤ ) مسلم .

« عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال : كُنَّا في غزاة فكسع رجلٌ من المهاجرين رجلاً من الأنصار ، فقال الأنصاري : يا للأنصار وقال المهاجري : يا للمهاجرين، فسمع ذاك رسول الله ـ ﷺ ـ **فقال : ما بال دعوى جاهلية** ، قالوا يا رسول الله كسع رجلٌ من المهاجرين رجلاً من الأنصار، **فقال : دعوها فإنها مُنْتنةٌ** » [(١)] ، هذا مع أن اسم المهاجرين والأنصار من أشرف الأسماء في كتاب الله وسُنَّة رسوله ـ ﷺ ـ ، لكن لما صارت شعاراً ينتصر الناس له دون تبين المُحقِّ من المبطل صارت جاهلية ، وهذا للأسف حال الكثير من المسلمين اليوم[(٢)] .

ومن حُسن الخلق **حُسن التوكل على الله ـ عز وجلَّ ـ** وعدم طلب الرقية من الغير وعدم التطير، طمعاً في دخول الجنة بغير حساب ، علماً بأن من نوقش الحساب عُذب ، قال رسول الله ﷺ : « **يَدْخُلُ الجَنَّةَ من أُمَّتي سَبْعُونَ أَلْفاً بغير حِسَابٍ ، هُمُ الَّذِينَ لاَ يَسْتَرقُونَ ، ولاَ يَتطَيَّرُونَ ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتوكَّلُونَ** » [(٣)] .

ومن حُسن الخلق **الإحسان إلى الجار وكف الأذى عنه** ولو كان غير مسلم ، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ **وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ** ﴾ [ النساء :٣٦ ] ، وقال رسوله ﷺ : « **ما زَالَ جِبْريلُ يُوصِيني بالجارِ حتَّى ظَنَنتُ أَنَّهُ سيُوَرِّثُهُ** »[(٤)] ، وقال أيضاً : « **مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللَّه والْيَوْمِ الآخر فَلا يُؤْذِ جارَهُ** ... » [(٥)] ، بل « **مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللَّه والْيَوْمِ الآخرِ فَلْيُحسنْ إلى جارِهِ** ... »[(٦)] ، و « **مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللَّه وَالْيَوْمِ الآخرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ** ... » [(٧)] ، و« عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت : قلت : يا رسول الله إنَّ لي جارَيْنِ فإلى أيِّهما أُهْدِي ؟ ، **قال : إلى أقْربهما منك باباً** » [(٨)] ، « ... **وخَيْرُ الجيران عند الله**

(١) متفق عليه
(٢) فقه الخلاف بين المسلمين.
(٣) متفق عليه
(٤) متفق عليه .
(٥) متفق عليه
(٦) مسلم.
(٧) البخاري.
(٨) البخاري.

تعالى خيرُهُمْ لجاره »(١) ، و « لاَ يُؤْمِنُ أحَدُكُم حَتَّى يُحبَّ لأخيه ـ أوْ قال لجاره ـ مَا يُحبُّ لنفسه»(٢)، و« لا يَدْخُلُ الجنَّة مَنْ لا يأمنُ جارُهُ بوائقه »(٣)، والْبَوائِقُ هي الْغَوائل والشُّرُورُ .

فالجار المسلم القريب له ثلاثة حقوق، حق الإسلام،وحق الرحم وحق الجوار، والجار المسلم غير القريب له حقان ، حق الإسلام،وحق الجوار، والجار غير المسلم له حق الجوار؛ والجار غير المسلم المسالم الذي لا يقاتل جاره المسلم بسبب اختلاف الدين له كل حقوق الجوار التي ذكرناها آنفاً، قال اللّه تعالى : ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الممتحنة: ٨ – ٩] ، هذا مع أن اللّه ـ عز وجلَّ ـ أخبر عنهم فقال : ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [ البقرة :١٢٠] ، لكنه إحسان الإسلام وجماله ؛ ومع ذلك حذَّر وشدَّد على عدم موالاتهم من دون المؤمنين، فقال : ﴿ لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [ آل عمران : ٢٨ ] ، فالإحسان إليهم بشتى أنواع البر شيء ، وموالاتهم من دون المؤمنين والرضي بشركهم شيء آخر.

ومن حُسن الخُلُق إدخال السرور على المسلمين فـ « ... أحب الأعمال إلى الله ـ عز وجلَّ ـ سرور تدخله على مسلم ... »(٤)،و« أفضل الأعمال أن تُدخل على أخيك المؤمن سروراً ، أو تُقضي عنه دينًا ، أو تُطعمه خبزاً »(٥)،

---

(١) الترمذي وحسنه . (٢) ، (٣) متفق عليه .

(٤) ، (٥) صحيح الجامع .

« وسئل رسول الله ـ ﷺ ـ أي الأعمال أفضل ، **قال : إدخالك السرور على مؤمن أشبعت جوعته أو كسوت عورته أو قضيت له حاجة** »[١] ، وأيضاً : « **أحب الأعمال إلى الله ـ عز وجلَّ ـ سرور تدخله على مسلم ، أو تكشف عنه كربة ، أو تطرد عنه جزعاً** ... »[٢] .

ومن حُسن الخلق **البعد عن سيء الأخلاق** ، قال رسول الله ﷺ : « **أَنا زَعِيمٌ ببَيتٍ في رَبَضِ الجنَّة لَمنْ تركَ المراءَ وَإِنْ كَانَ مُحقّاً ، وَببيتٍ في وَسَطِ الجنَّة لَمنْ تَركَ الكَذِبَ وإِن كَانَ مازِحاً ، وَببيتٍ في أعلَى الجَنَّة لِمَن حَسُنَ خُلُقُهُ** »[٣] والزَّعِيمُ أي الضَّامِنُ ، ومن أسوأ الأخلاق الكبر فـ « **لا يَدْخُلِ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ في قَلْبِه مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مَنْ كِبرٍ** ، فقال رَجُلٌ : إنَّ الرَّجُلَ يُحبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُه حسناً ونعلهُ حسنا ، **قال : إِنَّ اللَّه جَمِيلٌ يُحبُّ الجَمالَ ، الكِبْرُ بطَرُ الحَقِّ** ـ إنكاره وعدم قبوله ـ **وغَمْطُ النَّاسِ** ـ استصغارهم واحتقارهم »[٤] .

« وعَنْ أَبى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً قَالَ لِلنَّبىِّ ـ ﷺ ـ: أَوْصِنِى، **قَالَ: لاَ تَغْضَبْ** ، فَرَدَّدَ مِرَاراً، **قَالَ: لاَ تَغْضَبْ**»[٥]،وفى رواية أخرى «**لا تغضب ولك الجنة** »[٦] ، وفى رواية أخرى « عن رجل من أصحاب النبي ـ ﷺ ـ قال : قال رجل : يا رسول الله أوصني : **قال : لا تغضب** » ، قال : ففكرت حين قال رسول الله ـ ﷺ ـ ما قال ، فإذا الغضب يجمع الشر كله »[٧] ؛ لذلك فـ « **لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِى يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ** »[٨]، فالقوة لا تقاس بقوة الجسم وإنما تقاس بقوة النفس على التحمل وكظم الغيظ وعدم مقابلة السيئة بمثلها ، والمسلم عموماً والداعية خصوصاً في حاجة لخلق الحلم والأناة ، فبالحلم يقبل من الجاهل ويعذر المخطيء ويتحمل الإساءة ، وهذا يجعل الخَلق مقبلين عليه راغبين

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب.
(٢) صحيح الترغيب والترهيب.
(٣) رواه أبو داود بإسناد صحيح.
(٤) مسلم.
(٥) البخاري.
(٦) صحيح الجامع.
(٧) صحيح الترغيب والترهيب.
(٨) متفق عليه.

في دعوته لما يرونه في سلوكه من الأناة وكظم الغيظ والصبر على الأذى ، فالحلم الذي هو ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب للدعوة كالإدام للطعام ، وهو صفة كمال وليس بصفة نقص، ولذا سمي الله ـ تبارك وتعالى ـ نفسه ـ حليماً ـ فقال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٥٥)** ﴾ [ آل عمران: ١٥٥ ] ، وحلمه ـ تبارك وتعالى ـ أنه يعفو عن عباده ويصفح عنهم ، ويتجاوز عن عصيانهم ولا يعاجلهم بالعقوبة ، وجعل لكل شيء نهاية وقدراً ينتهي إليه .

ومن فضل الله على عباده أن « **من كتم غيظاً وهو قادرعلى أن ينفذه ، دعاه الله على رءوس الخلائق حتى يخيّره من الحور العين يزوجه منها ما شاء** »[١] ، " وروى أن عيسى ابن مريم قال ليحيى بن زكريا ـ على نبينا وعليهما الصلاة والسلام ـ : إني معلمك علماً ، لا تغضب ، فقال: وكيف لي ألا أغضب؟ ، قال: إذا قيل لك ما فيك فقل: ذنب ذكرته ، استغفر الله منه ، وإن قيل لك ما ليس فيك فاحمد الله، إذ لم يجعل فيك ما عيّرت به، وهي حسنة سيقت إليك " وروى الترمذي عن عبد اللّه بن المبارك ـ رحمه الله ـ في تَفْسير حُسْنِ الخُلُقِ قال: هُوَ طَلاقَةُ الوجه وبذلُ المَعرُوف وكَفُّ الأذى ؛ ومن شكا من سوء خلق غيره دل على سوء خلقه لأن **حُسن الخُلق احتمال الأذى** .

وبالجملة ،فكل أخلاق رسول الله ـ ﷺ ـ هي الأخلاق الحسنة ، فليُقس المرء منا أخلاقه عليها ، وما عداها فهو غير ذلك. وقد أُمرنا بالإقتداء به﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً (٢١)** ﴾[الأحزاب: ٢١ ].

وهناك سرٌ عجيب ؛ هو أن الله ـ تبارك وتعالى ـ يحب أسماءه وصفاته، وأحب خلقه إليه من اتصف بموجبها ، وأبغضهم إليه من اتصف بأضدادها ، ولهذا يبغض الكفور والظالم والجاهل والقاسي القلب والبخيل والجبان والمهين واللئيم ،

---

(١) صحيح الجامع.

وهو ـ سبحانه ـ جميل يحب الجمال ، عليم يحب العلماء ، رحيم يحب الراحمين ، محسن يحب المحسنين، شكور يحب الشاكرين ، صبور يحب الصابرين ، جوّاد يحب أهل الجود ، ستّير يحب أهل الستر ، قادر يلوم على العجز ، والمؤمن القوى أحب إليه من المؤمن الضعيف ، عفو يحب العفو ، وتر يحب الوتر ، وكل ما يحبه فهو من آثار أسمائه وصفاته وموجبها ، وكل ما يبغضه فهو مما يضادها وينافيها . . . .

وحُسن الخُلُق ـ إخواني ـ يرقى بصاحبه إلى الكمال فـ « **أَكْمَلُ الْمُؤمِنِينَ إِيمَاناً أَحسَنُهُم خُلُقاً . . .** » (١) .

## كيفية اكتساب الأخلاق الحسنة :

**والأخلاق الحسنة تكتسب إخواني بـ :**

[ ١ ] التخلق بها وافتعالها وتكلفها .

[ ٢ ] وقوة العزيمة .

[ ٣ ] ودعاء الله ـ عز وجلَّ ـ .

[ ٤ ] والصبر عليها مدة طويلة حتى تكون سجية عندنا .

[ ٥ ] وعدم اليأس إن وقع الإنسان في منكرها ، بل يتداركها بالتوبة ويعود سريعاً ، وسنصل أخيراً ـ إن صبرنا ـ لقول الله : ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾** ﴾ [ العنكبوت :٦٩ ] .

[ ٦ ] وتكتسب أيضاً بمصاحبة أهل الخير وأصحاب الأخلاق الحسنة فـ « **المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يُخالل** » (٢) .

**ولكي تكون الأفعال علامة صحيحة على خلق صاحبها لابد وأن يجتمع فيها عنصران :**

[ ١ ] تكرر هذه الأفعال على نسق معين ، بحيث تكون عادة مستقرة تدل على

---

( ١ ) الترمذي ، وقال حسن صحيح .

( ٢ ) الترمذي ، وقال حسن غريب .

قوة راسخة ونزعة ثابتة إلى هذه الأفعال .

[ ٢ ] أن تقوم الأمارات على أن هذه الأفعال صادرة بطريقة تلقائية عن النفس وليست لأسباب خارجية مثل الخوف أو الرياء أو الحياء أو... [١] .

ولو كانت الأخلاق السيئة لا تقبل التغيير لم يكن لإرسال الله الرسل ولا للمواعظ والوصايا معنى، وكيف ننكر تغيير الأخلاق ونحن نرى الوحوش تستأنس ، والكلب يُعلَّم، والفرس يُعلَّم حسن المشي وجودة الانقياد ، إلا أن بعض الطباع سريعة القبول للصلاح وبعضها بطيء .

والمقصود ليس قمع هذه الصفات بالكلية ، **وإنما المطلوب بالمجاهدة هو رد الشهوة إلى الاعتدال الذي هو وسط بين الإفراط والتفريط** ، كيف والشهوات إنما خُلقت لفوائد ضرورية ، ولو انقطعت شهوة الطعام لهلك الإنسان ، أو شهوة الوقاع لانقطع النسل ، ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الإنسان عن نفسه ما يُهلكه ، وقد قال الله تعالى: ﴿ **مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ** ﴾ [ الفتح :٢٩ ] ،ولا تصدر الشدة إلا عن الغضب ، ولو بطل الغضب لامتنع جهاد الكفار، وقال تعالى:﴿ **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ** ﴾ [آل عمران:١٣٤ ]، ولم يقل الفاقدين الغيظ ، وكذلك المطلوب في شهوة الطعام والشراب الاعتدال وليس الشره أوالتقلل كليَّة ، قال الله تعالى :﴿ **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴾ [ الأعراف :٣١ ] .

ومثال النفس في علاجها كالبدن في علاجه ، فكما أن البدن ينمو ويكمل بالتربية والغذاء ، كذلك النفس قابلة للكمال وذلك بالتزكية وتهذيب الأخلاق والتغذية بالعلم ، والنفس إذا كانت زكية طاهرة مهذبة الأخلاق فينبغي أن يسعى بحفظها وجلب مزيد القوة إليها،وإن كانت عديمة الكمال فينبغي أن يسعى بجلب ذلك إليها ، وكما أن العلة الموجبة لمرض البدن لا تعالج إلا

(١) دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية .

بضدها ، فكذلك الأخلاق الرذيلة التي هي من مرض القلب علاجها بضدها، فيعالج مرض الجهل بالعلم ، ومرض البخل بالسخاء ، ومرض الكبر بالتواضع ، ومرض الشره بالكف عن المشتهى ، وكما أنه لابد من احتمال مرارة الدواء وشدة الصبر عن المشتهيات لشفاء الأبدان المريضة ، فكذلك لابد من احتمال المجاهدة والصبر على مداوة أمراض القلب ، ومرض البدن يخلص منه بالموت ، ومرض القلب عذاب يدوم بعد الموت أبداً (١) .

## كيفية معرفة الإنسان عيوب نفسه :

**الطريقة الأولى :** أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس يعرف عيوب نفسه وطرق علاجها ، وهذا قد عزَّ في هذا الزمان وجوده ، فمن وقع به فقد وقع بالطبيب الحاذق فلا ينبغي أن يفارقه .

**الطريقة الثانية :** أن يطلب صديقاً صدوقاً بصيراً متديناً وينصبه رقيباً على نفسه لينبهه على المكروه من أخلاقه وأفعاله ، وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يقول : رحم الله امرأً أهدى إلينا عيوبنا ، وكان يسأل حذيفة رضي الله عنه هل أنا من المنافقين ؟ ، وهذا لأن كل من علت مرتبته في اليقظة زاد اتهامه لنفسه ، إلا أنه عز في هذا الزمان وجود صديق على هذه الصفة ، لأنه قل في الأصدقاء من يترك المداهنة ، فيخبر بالعيب أو يترك الحسد، فلا يزيد على قدر الواجب ، وقد كان السلف يحبون من ينبههم على عيوبهم ، ونحن الآن في الغالب أبغض الناس إلينا من يعرفنا عيوبنا ، وهذا دليل على ضعف الإيمان ، فإن الأخلاق السيئة كالعقارب ، لو أن منبهاً نبهنا على أن تحت ثوب أحدنا عقرباً لاشتغلنا بقتلها ، والأخلاق الرديئة أعظم ضرراً من العقرب .

**الطريقة الثالثة :** أن يستفيد معرفة نفسه من ألسنة أعدائه ، فإن عين السخط تبدى المساوئ ، وانتفاع الإنسان بعدوٍّ مشاجر يذكر عيوبه أكثر من

---

(١) مختصر منهاج القاصدين .

انتفاعه بصديق مداهن يخفى عنه عيوبه .

**الطريقة الرابعة** :أن يخالط الناس فكل ما يراه مذموماً فيما بينهم يجتنبه[١] .

**الطريقة الخامسة** : وهى أهمها ، أن يقيس المرء أخلاقه على أخلاق رسول الله ـ ﷺ ـ فما وافقها فهو الحسن وما فارقها فهو السيء .

## قاعدة مفيدة في أصل الأخلاق :

أصل الأخلاق المذمومة كلها **الكبر ، والحرص والشهوة ، والحسد ، والجهل ؛ فالكبر** وهو أول ذنب عُصى به الله ـ عز وجلَّ ـ ، وهو يمنع صاحبه من الانقياد للحق ، فإذا انهدم ركن الكبر سهل عليه الانقياد ، وهو أصل الشرور كلها وينشأ منه الفخر ، والبطر ، والأشر ، والعجب ، والبغي، والخيلاء ،والظلم ، والقسوة ، والتجبر ، والغضب ، والإعراض ، وعدم قبول النصيحة ، والاستئثار ، وطلب العلو، وحب الجاه، والرئاسة، وأن يحمد بما لم يفعل،وأمثال ذلك كلها .

**والحرص والشهوة** وهما سبب أول ذنب للبشر ، ويمنعان صاحبهما من التفرغ للعبادة ، وإذا انهدم ركن الشهوة سهل عليه الصبر والعفاف والعبادة ، وينشأ منهما الكذب ، والخسة، والخيانة ، والرياء ، والمكر ، والخديعة ، والطمع، والفزع ، والجبن ، والبخل ، والعجز ، والكسل ، والذل لغير الله ، واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير ، ونحو ذلك .

**والحسد** وهو أول ذنب لبنى آدم ، وهو يمنع قبول النصيحة وبذلها ، وإذا انهدم ركن الحسد سهل عليه قبول النصح وبذله ، وينشأ منه الظلم ، والبغي ، والعدوان ، والجهل ، فبالعلم فُضِّل آدم على الملائكة ، وبالجهل ينزل الإنسان إلى أقل من مرتبة الدواب ، فيرى الحسن قبيحاً والقبيح حسناً ، والكمال نقصاً والنقص كمالاً ، ويضع الشيء في غير موضعه و . . .

---

(١) مختصر منهاج القاصدين .

وإذا تأملنا ظلم الناس بعضهم لبعض وكفر الأمم وجدناه ناشئاً منها ، وعليها يقع العذاب ، فإنها تمنع الانقياد، والإخلاص ، والتوبة ، والإنابة ، وقبول الحق ، والنصيحة ، والتواضع لله ولخلقة .

وأصل الأخلاق المحمودة كلها **العلم** ،**والتوبة**،**والإنابة**،**وعلو الهمة**،**والصبر**، **والشكر** ؛ **فبعلمه بربه** المتصف بجميع صفات الكمال والجلال والحكمة يحبه ويطيعه ويرجو جنته بل القرب منه فيها ودوام النظر إليه،وهو النعيم الذي ليس بعده نعيم، وبعلمه بنفسه الممتلئة بالنقائص والآفات، وأنها لا تستحق أن يغضب وينتقم لها، فإن ذلك إيثار لها بالرضا والغضب على خالقها وفاطرها، لا يتكبر ولا يغضب لها ولا يحسد أحداً على ما آتاه الله ، بل يحب ما أحب ربه ومولاه ولا يغضب إلا له، ولا يحرص إلا على رضاه والقرب منه في الفردوس الأعلى.

و**بالتوبة والإنابة** يعود سريعاً ودائماً إلى ربه ومولاه منطرحاً على بابه ليس له سواه متمثل قول الأبوين : ﴿ **رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣)** ﴾ [ الأعراف : ٢٣ ] ، وربه يعلم ضعفه فيطلع على قلبه الصادق ، فيعفو عنه، ويتوب عليه، ويبدل سيئاته حسنات ، بل يحبه ويدنيه منه ﴿ **وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ (١٢٢)** ﴾ [ طه :١٢١-١٢٢ ] ، فـ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾ [ البقرة : ٢٢٢ ] .

**وعلو الهمة** ينشأ منها الصبر ،والشجاعة ،والعدل ،والمروءة ،والعفة ، والصيانة ، والجود ، والحلم ، والعفو، والصفح، والاحتمال ، والإيثار ، وعزة النفس عن الدناءات ، والتواضع ، والقناعة ، والصدق، والإخلاص ، والمكافأة على الإحسان بمثله أو أفضل، والتغافل عن زلات الناس ، وترك الاشتغال بما لا يعنيه ، وسلامة القلب من تلك الأخلاق المذمومة ، ونحو ذلك .

**وبالصبر والشكر** يثبت على طاعة ربه ويمتنع عن معصيته، وينال حبه وقربه والمزيد .... ! [١] .

---

( ١ ) الفوائد ـ بتصرف .